المحاضرة السابعة

مستويات التحليل للنص القرآني / المستوى النحوي

الصف الثالث / قسم اللغة العربية

م . إلهام عبد الكريم يعقوب

لا يقصد من وضع قواعد النحو والتقيد بها حمل لغة النص على دلالات فنية أو جمالية ابتداءً ، لكنا مع ذلك لا نعدم مثل هذا الأثر في المستوى النحوي مع تحول اللغة إلى المستوى الأدبي ذي الطابع البلاغي ، ولا سيما مع نص يرقى إلى ذروة الإعجاز كلغة القرآن الكريم ، فعلاقة النحو باللغة – مع أدبية النص – لا تبقي في إطار شكلي وتنظيم خارجي فحسب ، كما لا تعود قواعد النحو معها مجرد أداة لضبط النص أو لتوصيل المعنى فحسب ، بقدر صيرورتها وسيلة تأثير وإثارة .

إذن فدراسة الجانب النحوي والنضام التركيبي في النص القرآني – أو أي نص بليغ ، وفقا لهذا التصور – يراد منه الوصول إلى ما فيه من لطائف بيانية . ولعلنا نجمل القول – في أدناه – بأهم اللمسات البيانية للألفاظ التي يمكن الوقوف عليها في هذا المستوى بحسب تصنيفها في أقسام الكلام العربي ، وكما يأتي :

١- **الضمائر** : ومما انمازت به الضمائرفي هذه السورة المباركة :

أ – كثرتها مع تغاير عوائدها : إن كثرة الضمائر في النص يعد شكلا من أشكال التماسك النحوي ، وملحظا دالا على عمق التركيب ، لمحافظتها على الترابط الداخلي للنص ، كما يمكنها على الضد أن تحول دون فهمه ، فيميل إلى الغموض والتعقيد ، أو يقصر في إبلاغ المراد .

ومن الأمثلة الدالة على كثرتها ما نلحظه في قوله تعالى : { وكذلك أعثرنا عليهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا } . فالآية الكريمة اشتملت على ثلاثة عشر ضميرا ، منها ما عاد على الفتية أصحاب الكهف ، ومنها ما عاد على القوم الذين شهدوا انبعاث الفتية .

ب – تنوعها مع توحد عوائدها : إن اتحاد الضمائر في جهة الإحالة مع اختلاف صورها يفضي بالنص إلى فتية التأمل مرة أخرى ، ولكن بشكل أعمق وبطريقة جديدة هي طريقة الالتفات ، وذلك بكسر السياق بعنصر مفاجئ ، صيغة غير متوقعة ، يتعمدها المتكلم ليتحول بالسامع معها (لافتا وملفتا) من الحضور إلى الغيبة ، أو من الإفراد إلى التثنية إلى الجمع ، أو بالعكس .

ج – توحدها مع تعدد عوائدها : لابد لفهم النص من تعيين عود الضمير بشكل دقيق . ويتواءم مع دقة انصباب الضمائر على عائد بعينه فكرة العوائد المحتملة وانصراف الضمير إليها بشرط عدم تعارضها ، فضميرا الجمع في قوله تعالى :{ عليهم ليعلموا } يختافان في احتمالية عودهما .

٢- **الحروف :** ومما انماز به الحروف في هذه السورة المباركة :

أ – استبدال بعضها ببعض : تبدل الحروف بعضها ببعض لعلة بلاغية بيانية لا يمكن تحصيلها مع استعمال الحرف المعتاد للمعنى المنشود ، فيعدل بالحرف عن رديفه لأجل هذه العلة ، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى : { إن يقولون إلا كذبا } .

ب – زيادتها : ثمة علاقة بين مبحث الزيادة ودلالة التوكيد ولا سيما في باب الحروف ، ولعل هذا واقع في قوله سبحانه : { أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا } .

٣- **االأفعال** : ومما انماز به الأفعال في هذه السورة المباركة :

أ – تتابعها وتنوعها : ففي قوله تعالى { ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا } . تتابعت الأفعال المصورة لمشهد القيامة وتنوعت بين المضارع والماضي ، مما يدفع المستمع إلى التركيز والتأمل ، فهذه الالتفاتة اللطيفة من المضارع الحاضر إلى الماضي المنصرم أدخلت السامع في جو من الرهبة والشعور بأنه مخلوق ضعيف مسيطر عليه .

ب – تنازعها مع تعددها : وهو شكل من أشكال التركيب النحوي المتسم بالتداخل الناتج عن شدة الترابط الجملي ، إذ يتنازعان فعلان على مفعول واحد { قال آتوني أفرغ عليه قطرا } .